إضاءات نقدية (فصلية محكّمة)
السنة الثامنة ـ العدد الثانی والثلاثون ـ شتاء ۱۳۹۷ش/ کانون الأول ۲۰۱۸م
صص ۱۰٦ ـ ۷۷

حبسيات ابن زيدون بين الإبداع والتقليد

طيبة سيفی*

الملخص

شعر الحبسيات أو شعر السجون قديم فی الأدب العربی قدم الشعر والأدب؛ لأن بعض الشعراء نزلوا السـجن لعلّة ما وذاقوا طعم السجن المرّ وانعكست هذه التجربه المرة منذ القدم فی شـعرهم وأدت إلی غليان عاطفة الشـاعر وخياله بشكل خاص بحيث نجد صداها فی أشـعارهم. وهذا النوع الأدبی فی الحقيقه يدل علی إحساس الشاعر الصادق وشـعوره الرقيق كما هو مملو بالحزن والألم ويصور حياة الشاعر فی السجن. إذن قام بعض الشعراء العرب بتصوير تجربتهم الذاتية مستعينين من هذا النوع الأدبی فی العصور المختلفة، من بين هؤلاء ابن زيدون الشـاعر الأندلسی المرموق الذی أُتُّهم بالتدبير لقلب نظام الحكم، والميل إلی عودة الخلافة الأموية، فسعاية الوشاة والأعداء أدی إلی سـجنه، حيث نجد صدی حياته المرة التی قضاها فی السـجن وبالتحديد فی خمس قصائد رائعة والتی وردت متناثرة فی ديوانه. وهذه القصائد لم تدرس بعد دراسة مسـتقلة رغم جمالها وفصاحتها؛ لذلک يسعی البحث دراسة الموضوعات والمضامين لهـذه القصائد وتحليلهـا اعتماداً علی المنهج الوصفی- التحليلـی حتی نقدّم للقارئ والمتلقّی إبداع الشـاعر من حيث الموضوع فی نظم هذه القصائد وتقليده كما نكشف نظرة الشـاعر إلی هذا النوع من الشعر الغنائی. ومن أبرز النتايج التی وصل البحث هو أن تعدد الأغراض فی القصيدة الواحدة يعد من أهمّ معالم التقليد عند ابن زيدون فی حبسياته ولقد مزج الشاعر هذه القصائد بمشاهد الطبيعة ومناظرها بالتأثر من بئية الأندلـس وطبيعتها النضرة وهذه هی من معالم الإبداع عنده حيث يمكن أن نقول بأنه لم يلقد شعراء الشرق فی نظم حبسياته فحسب بل نجد أحيانا عنده شيئا من الإبداع.

الكلمات الدليلية: الحبسيات، أندلس، ابن زيدون ، السجن، الإبداع، التقليد.

*. أستاذة مساعدة فی اللغة العربية وآدابها بجامعة الشهيد بهشتی، طهران، إيران
seyfie_288@yahoo.com

تاريخ الاستلام: ۱۳۹۷/٦/٥ش تاريخ القبول: ۱۳۹۷/۱۲/۸ش

المقدمه

من التجارب المرة التى جرّبها بعض الشعراء العرب فى حياتهم من العصر الجاهلى حتى يومنا هذا، تجربة السجن إذا قضى بعضهم مدة من حياتهم فى السجن وذاقوا طعم هذه التجربه المرة والتى أدت بدوره إلى ظهور نوع من الشعر فى داوينهم والذى سمى بالحبسيات أو شعر السجن.

كان الأدب العربى فى الأندلس عامة والشعر خاصة مرآة صافية للأدب العربى فى الشرق وكما يقول أحمد غراب «إن الأديب والشاعر الأندلسى كان محدود الإطار الفكرى إذا ما أراد أن ينظم قصيدة أو يتناول أحد الأغراض حيث تجده يبدأ محاكياً مقلداً وسائراً بحذر على نمط الشعر الشرقى.» (أحمد غراب، ٢٠١١م: ٥١) أو على حد قول شوقى ضيف: «إن الشاعر الأندلسى لم يحاول أن يُخضع الشعر العربى لشخصيته، بل رأيناه يخضع له، ويخضع لموضوعاته المعروفة فى الشرق كما يخضع لأفكاره ومعانيه وأخيلته وأساليبه.» (ضيف، لاتا: ٤٣٩)

كذلک حذا الشعراء فى هذه الديار حذو شعراء الشرق وظهر شعراء مرموقون نظموا أشعاراً فى الأغراض المختلفة ومنها الإستعطاف و«هى قصيدة تدور أكثر معانيها عادة على ترفق الشاعر فى الاحتجاج على برائة ما نسب إليه واستمالة قلب المستعطَف أو المتعذّر إليه والتذكير بسالف ولائه أو خدماته، ووصف ما يعانيه فى سجنه من ضروب الإعنات والحرمان إن كان سجيناً.» (عتيق، لاتا:٢٣٠) و«قد نبغ فى الأندلس شعراء استطاعوا أحياناً أن يجاروا الفحول من شعراء المشرق فى بعض الأغراض.» (الركابى، ٢٠٠٨م: ٨٧)

منهم ابن زيدون والذى لُقب ببحترى الغرب ونظم فى الأغراض المختلفه بالتقليد عن شعراء المشرق. ومن جانب آخر نزل الشاعر السجن فذاق طعم السجن مدة من حياته وهذه التجربه المرة أدت إلى ظهور خمس قصائد بديعة فى الشكوى والاستعطاف والتى وردت فى ديوانه متناثرة ولكن جمعها جودت الركابى فى كتابه فى الأدب الأندلسى تحت الغرض الشكوى والاستعطاف وتعتبر هذه القصائد من الأشعار الغناية للشاعر كما تعد من أشعار الحبسيات ولكن هذه الأبيات الغنائيه الرائعة لم تدرس بعد دراسة

مستقلة رغم أهميتها وجمالها ورقتها ومن جانب آخر كان الشاعر يحاكى شعراء الشرق وكان مقلداً منهم كغيره من شعراء الأندلس ونظم الشعر فى الأغراض المختلفه تقليداً منهم. من أجل ذلک قامت الباحثة بالتحليل المضمونى ودراسة الموضوعات فى أشعار الحبسيات فى ديوانه حتى تكشف وجوه إبداع الشاعر فى نظم الحبسيات ومدى تأثره من شعراء المشرق فى هذه الأشعار ضمن تحليلها ودراستها اذن يسعى البحث الإجابة عن هذه الأسئله:

١- ما هى الأفكار والموضوعات والمضامين التى اعتنى بها الشاعر فى نظم الحبسيات؟

٢- ما هى إبداعات الشاعر بالنسبة إلى الأقدمين من حيث الموضوع؟

٣- ما هى معالم التقليد والإبداع عند الشاعر؟

خلفية البحث

لقد درس الباحثون أشعار الحبسيات للشعراء العرب المرموقين وظهر هذه البحوث إما بشكل كتاب منه: «حبسيه سرايى در ادب عربى از آغاز تا عصر حاضر» (١٣٨٠ش) مرضيه آباد، تطرقت الكاتبة إلى دراسة أشعار الحبسيات من بداية نظمها حتى عصرنا الحاضر مع ذكر شواهد شعرية من هذه الأشعار موجزاً. «الشعر السجون فى الأدب العربى الحديث والمعاصر» للأديب والباحث سالم المعوش (٢٠٠٣م)، لقد اختص هذا البحث بدراسة أشعار الشعراء المعاصرين فى موضوع الحبسيات فحسب مع ذكر شواهد شعريه من هولاء الشعراء دون العصور الماضيه.

أما الرسائل الجامعية الكثيرة فى هذا المجال فمنها «الحبسيات فى الشعر العربى» للطالبة سكينه قدور والتى نُوقشت فى جامعة منتورى – قسنطينة، كلية الآداب واللغات، الجمهورية الجزائرية، (٢٠٠٧م)، درست الباحثة هذه الظاهرة اعتماداً على أشعار الشعراء المعاصرين مشيرةً إلى هذه الظاهرة فى أشعار الشعراء فى العصور المختلفة بإيجاز.

وهناک مقالات عديدة كتبت وأغلبها دراسة مقارنة بين الحبسيات فى الأدبين العربى

والفارسی ونشير إلى بعضها: «مسعود سعد وأبوفراس وسابقة غزل مستقل» للباحث يحی طالبيان ومنصور نيكپناه، مجلة ادبيات تطبيقی،كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الشهيد باهنر، رقم١٢، (١٣٨١ش).

«مقايسه عناصر بلاغی – استعاره –در حبسيات خاقانی و ابوفراس» للباحث سيد رضی مصطفوی نيا مهدی جباری نشرت فی مجلة ادبيات تطبيقی جامعة آزاد الإسلامية، جيرفت، رقم ١٠، (١٣٨٦ش) اهتم الباحث فی هذه المقاله بدراسة الاستعارة كوجه من وجوه البلاغه عند الشاعرين المرموقين فی نظم الحبسيات وهما خاقاتی وأبوفراس.

«روميات أبی فراس الحمدانی وحبسيات مسعود سلمان» للباحث محمدهادی مرادی، وصحبت الله حسنوند، فصلية التراث الأدبی، السنة الأولی، العدد الثانی، (١٣٨٨ش) تطرق الباحثان إلى دراسة أشعار الحبسيات لهذين الشاعرين دراسة مقارنة واهتم بالجانبين الفنی والأدبی لهذه الأشعار.

«وصف زندان واحوال دورنی در زندان سرودههای فارسی وعربی» لعلی دادمان كوشكی وعيسی داراب پور نشرت فی مجله پژوهشنامه ادب غنايی رقم ١٦، (١٣٩٠ش) لقد قام الباحثان بدراسة الأوصاف والمظاهر الظاهرية للسجن وكيفية ظهورها فی أشعار الحبسيات فی الأدبين الفارسی والعربی دراسة مقارنة .

«حبسيه سرايی در شعر عربی وفارسی (پژوهش تطبيقی: شعر أبوفراس وبهار)» للباحث تورج زينی وند وپيمان صالحی نشرت فی مجلة فصلنامه علمی پژوهشی ادبيات فارسی بجامعة آزاد، رقم ١١ (١٣٩١ش) ولقد درس الباحثان شعر الحبسيات لهذين الشاعرين دراسة مقارنة من حيث الأسلوب والمضمون معاً.

«مكارم الأخلاق فی سجنيات أحمد سحنون (دراسة وتحليل)» لجهانگير أميری وإلهام كاظمی نشرت فی مجلة دراسات فی مجلة اللّغة العربية وآدابها، العدد الثالث والعشرون، (١٣٩٥ش) تطرق الباحثان فی هذا البحث إلى دراسة نصائح أخلاقية ذات طابع دينی واجتماعی وأخلاقی فی أشعار الشاعر الجزائری أحمد سحنون دراسة دلالية ومضمونية.

وهناک مقالة عنوانها «شعر السجن عند ابن زيدون الأندلسی دراسة وصفية تحليلية» للباحث محمد جاسر أسعد طالب الدكتوراه فی قسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، والتی نشرت فی مجلة الدراسات اللغوية والأدبية. لقد درس الباحث فی المقالة الموضوعات التالية: سبب سجنه، مدة سجنه، شعره فی السجن، القصيدة الميمية، لماذا أخفق ابن زيدون فی استعطاف أبی حزم بن جهور. واعتمد فی بحثه أيضاً علی تحليل القصيدة الميمية ومن النتايج الرئيسة لهذه المقاله هی أن هذه القصيدة ليست جزءاً من الرسالة الجدية؛ بل نظمها الشاعر بعد ما فر من السجن.

وهناک اختلاف جذری بين هذا البحث والمقالة المشار إليها؛ لأن هذا البحث ارتكز علی تحليل موضوعات ومضامين الحبسيات لهذا الشاعر من وجهة نظر التقليد أو الإبداع؛ بينما اعتمدت تلک المقاله علی القصيدة الميمية وتحليل موضوع الحبسيات لابن زيدون موجزاً. لذلک استفاد الباحث من کل هذه البحوث ولكن رغم کل هذه الجهود والمساعی لم تدرس موضوع هذه المقالة بعد ولم يقم باحث بعد بدراسة أشعار الحبسيات لابن زيدون بشكل مستقل وخاص للكشف عن إبداعات الشاعر بالنسبة إلی الآخرين من حيث الموضوع ووجوه الإبداع والتقليد فی هذه الأشعار کما تطرق إليه هذا البحث.

ابن زيدون حياته وأدبه[1]

هو أحمد بن عبدالله بن أحمد بن غالب بن زيدون المخزومی، ولد بالرصافة من

١. حول حياة ابن زيدون وأدبه راجع: ابن بسام، علی، (١٩٨١م). الذخيرة. ج٣٧٩/١؛ فروخ، عمر، (٢٠٠٦م). تاريخ الأدب العربی. ج٥٨٩/٤ الی ٥٩٤ ؛ ضيف، شوقی، (لاتا). الفن ومذاهبه فی الشعر العربی. ص٤٣٩ الی٤٤٣؛ الركابی، جودت، (٢٠٠٨م). فی الأدب الأندلسی. ص ١٦١ الی٢٨١؛ أحمد غراب، سعيد، (٢٠١١م). أطياف من تاريخ الإدب العربی و نصوصه فی الأندلس. ص١٢٥ الی١٦٤؛ عبدالرزاق سليمان، سالم، (٢٠١١م). ترسل الشعراء فی الأندلس. ص ٦٨ الی ١٠٦؛ ابن زيدون، (٢٠٠٤م). ديوان. شرح وتعليق يوسف فرحات. مقدمة الشارح. ص ٧ الی ١٧؛ ابن زيدون، (لاتا). ديوانه ورسائله. شرح وتحقيق علی عبدالعظيم. مقدمة الشارح. ص ١١ الی ١١٣؛ أمين مقدسی، ابوالحسن وعبدالوحيد نويدی، (١٣٩٢ش). ترجمه، شرح وتحقيق جلد پنجم المجانی الحديثة. ص١٧٥ الی١٧٧؛ توكلی محمدی، محمود رضا وبتول ملكی، (١٣٩١ش). مقتطفات من الأدب الأندلسی الشعرو النثر. صص٨٠ و ٨١.

أرباض قرطبة أوائل سنة ٣٩٤ للهجرة، ونشأ في أسرة كريمة مرموقة المكانة، فقد أباه في الحادية عشرة من عمره فكفله جدّه لأمه. كانت له ثقافة واسعة عميقة نتيجة لتلمُّذه على أساتذة عديدين وعلى رأسهم أبيه الذى كان أستاذه الأول. اتصل بكثير من عظماء عصره وأعلامه ونرى تأثير ذلک جليّاً وواضحاً في آثاره الشعرية وفنونه النثرية. كان له دور بارز في الأحداث السياسية في عصره منها في إلغاء الخلافة الأموية بقرطبة وتأسيس حكومة جهورية بزعامة ابن جهور؛ لذلک أكرم الحاكم الشاعر ورفعه إلى منصب الوزارة وجعله سفيراً لدى بعض ملوک الطوائف. وأعظم الأحداث أثراً في حياة ابن زيدون وفي أدبه كان اتصاله بولّادة بنت المستكفى الخليفة الأموى المخلوع وأحبها كثيراً، ولكن لم يدم هذا الحب حتى حصلت جفوة بينه وبين ولادة، وكان لخصومه دور بارز في هذه الجفوة والفراق وفي النهاية أودع السجن بدليل اختلف فيه الباحثون والمؤرخون وكان على رأسها عامل سياسى لأن ابن زيدون كان شاعراً «سياسى الطموح وهذا ما ستجلوه لنا علاقاته مع الجهوريين وما ناله من السجن.» (الركابى، ٢٠٠٨م: ١٦٦) أتُّهم الشاعر للعودة بزمام الأمور إلى بنى أمية وتهم أخرى فأودع السجن مدة تزيد قليلاً عن خمسمائة يوم كما أشار الشاعر نفسه في القصيدة التى أرسلها من السجن الى ابن جهور ويستعطف ابن جهور ويناشده العفو دون فائدة:

أفصبرٌ مئينَ خمساً من الأيامِ ناهيک من عذابٍ أليمِ

(ابن زيدون، ٢٠٠٤م: ٢٨١)

لابن زيدون مدائح كثيرة وكان مقلداً في مدائحه شعراء المشرق ويحذو حذوهم كما له غزليات صادقه لولّادة وقصائدة التى نظمها مدة سجنه وهى متصفة بالشكوى والاستعطاف وله أيضا رسالة مشهورة بالرسالة الجدية كتبها في السجن تدور حول حياته السياسية وما رافقها من سجن واستعطاف. ولُقب ببحترى الغرب بسبب الموسيقى الخلابة والنغمات الموزونة لأشعاره.

الأغراض والموضوعات في حبسيات ابن زيدون

إن الوحدة والعزلة والوحشة التى عاشها الشاعر في السجن وفّرت له الفرصة حتى

يفكر فى الأمور التى تؤلمه فى هذه الوحشة فهناك وحشة نفسية ووحشة جسدية ساعدته أيضاً فى التعبير عن واقعه فى السجن من خلال قصائد رائعة؛ لذلک تشتمل حبسيات ابن زيدون كغيره من الشعراء الذين ذاقوا طعم السجن المرّ، الموضوعات والأغراض التى كانت تهمه وتبيّن أمنياته وآماله. ومن أهم هذه الموضوعات والأغراض هى:

١. عتاب الأمير فى السجن

لقد عاش الشاعر مدة من حياته فى بلاط الأمير ابن جهور وعاش حياة سعيدة ومدح هذا الأمير «وله مدائح كثيرة فى أبى الحزم بن جهور.» (ابن زيدون، ٢٠٠٤م: ١٦) وكان من خواصه وسفيره لدى بعض ملوک الطوائف ولكن أُتُّهم بالتدبير لقلب نظام الحكم ونزل السجن بأمر هذا الملک وذاق طعم السجن بسبب سعاية العدو؛ لذلک عتاب هذا الأمير يعد من الموضوعات الهامة فى حبسياته. يخاطب الشاعر هذا الأمير بينما يستعطفه ويناشده العفو ولكن بدون جدوى. إضافة إلى ذلک كتب الشاعر أثناء سجنه رسالة شهيرة تُعرف بالرّسالة الجديَّة وأرسلها إلى ابن جهور ويستعطفه فيها، وأرسل معها قصيدة يمدحه مطلعها:

الهوى فى طُلُوع النجوم؛ والمنى فى هُبُوب ذاک النسيم
سرّنا عَيشُنا الرَّقيقُ الحواشى، لو يَدُومُ السرورُ للمُستديم
وَطَرٌ ما انقضى إلى أن تقضىّ زمنٌ، ما ذمامُه بالذميم

(ابن زيدون، ٢٠٠٤م: ٢٨٠)

مزَّج الشاعر هذه القصيدة بوصف الطبيعة كما يبدو من مطلعها وكان هذا من ميزات حبسياته؛ بل جميع أغراضه الشعرية كما يرى الباحث أحمد غراب بقوله: «مزج الطبيعة بقوله وقرنها بلون فنى آخر من ألوان المتعة الحسية فى نطاق غزله.» (أحمد غراب، ٢٠١١م: ٧٠) بعد ذلک يمدح الأمير بقوله:

بوّأ الله جهوراً شرف السؤودِ، فى السروِ، واللُبابِ الصميمِ
واحدٌ، سلّمَ الجميعُ له الأمرَ، فكانَ الخُصوصُ وفقَ العُمُومِ

(ابن زيدون، ٢٠٠٤م: ٢٨١)

ثم يبدى شكواه عنه ويعتبر شكواه تنبيهاً للحليم كى يستدرک ما فاته، ويرسم نفسه كالسيف الذى بقى فى الغمد وليس له القدرة على القطع وثم يتذكر الأمير مدةً قضاه فى السجن ويستعطفه واصفاً عذابه فى السجن ويصور نفسه مريضاً لا زائر له حتى يساعد على شفائه:

أيها ذا الوزيرُ! ها أنا أشكُو، والعَصا بدءُ قَرعها للحليمِ
وبقاء الحُسامِ فى الجفن يَثنى منه، بعدَ المضاء والتصميمِ
أفصبرٌ مئينَ خمساً من الأيام نَاهيک مِن عَذابِ الأليمِ
سَقَمٌ لا أعادُ فيه وفى العائدِ أنسٌ يُفى ببرء السقيمِ

(نفس المصدر)

يستمر الشاعر فى عتابه حتى يستعطف الأمير ويطلب الخلاص من السجن فى نهاية القصيدة.

نظم قصيدة أخرى فى أوائل سجنه و«يعاتب فيه أبا الحزم بن جهور ويدفع عن نفسه التهمة متضرعاً فى إباء، مستعطفاً فى حرقة» (الركابى، ٢٠٠٨م: ٢٢٦) يبدأ الشاعر قصيدته هذه بذكر حالاته النفسية ثم يشكو من الدهر يتضمنها بذكر محاسنه ومفاخره ثم يستعين بالأمير أبى جهور ويتمنّى أن يرحمه هذا الأمير الفاضل الذى هو قادر على مساعدته لذلک يستمد منه العون، مخاطباً إياه:

لَعَلَّ المليکَ المجمِلَ الصُنع قادراً له بعد يأسٍ، سوفَ يُجملُ صُنعاً لى
ولله فينا علمُ غيبٍ وحَسبُنا به، عندجورِ الدهرِ، من حَكَم عدل
همامٌ عَريقٌ فى الكِرام، وقَلَّما تَرَى الفرعَ إلّا مُستَمداً من الأَصلِ
نَهُوضٌ بأعباءِ المُرُوءةِ والتّقَى سَحُوبٌ لأذيالِ السيادة والفَضلِ

(ابن زيدون، ٢٠٠٤م: ٢٤٠)

هو كذلک لا ينسى مدح الأمير؛ بل يمدحه خلال القصيدة بأبيات استخدم فيها صوراً بيانيةً فى طلب ما يريد، وقد وصف عدله أمام جور الدهر كما وصفه بالهمام العريق فى الجود والكرم وصاحب المرؤءة والتقى والفضل والسيادة وذو آراء واضحة.

عتاب الأمير أيضا يتجلى فى هذه القصيدة بحيث يتذكر الشاعر رسائله العديدة

والمتواترة التى يرسلها إلى الأمير فى السجن ولكن الأمير لا يهتم برسائلة، كما يتذكر بأنه أعد نفسه لوصول هدية من الأمير إليه ويأمل أن يوسمه نعمه لأنه ليس برجل مجهول:

أبا الحزم! إنى، فى عتابك، مائلٌ على جانبٍ، تأوى إليه العُلى سهلِ
أفى العدلِ أن وافتك تَترَى رسائلى فلم تترُكَن وَضعاً لها فى يدى عدلِ
أعـدُّك للجُلّى، وآمُـلُ أن أُرى، بنُعماك، موسُوماً، وما أنا بالغُفلِ

(نفس المصدر: ٢٤١)

يسعى الشاعر فى هذه القصيدة براءة نفسه عمّا أُتُّهم به كما يسأل الشفاعة من الأمير الموصوف بالعدل والجود والكرم، ويشير إلى ادعاء الوشاة الباطل ويجعله سبباً لتقصير الأمير فى مساعدته مستمداً أسلوب الاستفهام الإنكارى حتى يرفض ادعاء الوشاة الباطل ضمن جملة استفهامية ثم يدَّعى لو أنه ارتكب الخطيئة عمداً لما كان غريباً على حسن طباع الأمير أن تمهله:

أأن زَعَمَ الواشونَ ما ليسَ مَزعماً تُعَذِّر فى نصرى وتُعذرُ فى خَذَلى
ولو أننى واقعتُ عمداً خطيئةً، لَما كان بِدعاً من سجاياك أن تُملى

(نفس المصدر: ٢٤٢)

يستعطف الشاعر فى الأبيات الآتية من الأمير معترفاً بأن خلاصه من السجن أصبح أمنية له ويرى إذا تحققت هذه الأمنية بيد من يسأل الشاعر منه رضاه يتيسر له حل كل صعب فيها:

منىً، لو تَسَنّى عقدُها بيدِ الرضَا تيسّر منها كُلُّ مستصعبِ الحَلّ

(نفس المصدر: ٢٤٣)

كما يسعى إلى وصف الأمير الذى كان قبل ذلك من ممدوحيه ويخاطبه ويتذكر خصاله الحسنة وأخلاقه السمحة ويعتبر تحقق أمنيته بيد هذا الأمير:

فإن تُمنَ لى منك الأمانى، فشيمةٌ لذاك الفعالِ القصدِ والخُلقِ الرَّسلِ

(نفس المصدر)

وكذلك لاينسى الشاعر وصف منزلته العالية ومكانته المرموقة وقيمته الغالية والتى جعلها الأمير رخيصاً، بينما يجده غير الأمير ثميناً غالياً ثم تأخذه الحيرة والتعجب؛

ويظهر تعجبه وحيرته حينما يخاطب الأمير سائلاً إياه أين الجواب الذى يرضى الكرامة والرفعة، إذا ما سألتنى عنه ألسنة الناس؟:

سَـيُعنى بِما ضَيّعتَ منـيَّ حافِظٌ ويُلفى لما أرخَصتَ من خَطرى مُغلى
أينَ جوابٌ عنک تَرضى به العُلى إذا سـألتنى بعـدُ ألسـنةُ الحفلِ

إن الشـعراء يعاتبون فى حبسـياتهم عـادةً مَن حكم لهم بالسـجن وهذا النوع من العتاب يكون من الموضوعات السائدة عند الشعراء الآخرين الذين نزلوا السجن وكان موجوداً عندهم[1] وليس شيئاً جديداً أضافه ابن زيدون؛ ولكن المهم والشىء الجديد عند هذا الشـاعر هو مزج هذا العتاب بالمدح، كما تؤيده الأمثلة السـابقة؛ لأن ابن جهور هو الذى يقوم الشـاعر بعتابه فى السـجن والذى كان يمدحه فى نفس الوقت وحتى فى القصيدة الواحدة.

تـدل أبيات هذه القصيده وغيرها بأن تعدد الأغراض موجودة فى القصيدة الواحدة إضافة إلى ذلک أن بعض أبيات قصائده التى نظمها الشـاعر فى السـجن لها اسـلوب خاص زاد فى جمالها وإناقتها مثل هذا البيت الذى يخاطب الشاعر ابن جهور يستعطفه ويسـأله العفو عن خطيئته، بينما لايسـتخدم فى البيت إلا أفعال الأمر، وفعل الأمر كما نعلـم «قد يخرج عن معنـاه الحقيقى وهو طلـب الفعل من الأعلـى للأدنى على وجه الوجوب والإلزام، وللدلالة على معان أخرى يحتملها لفظ الأمر وتسـتفاد من السـياق وقرائن الأحوال.» (عتيق، لاتا: ٧٣) فى هذا البيت يكون الخطاب من السـجين والعبد إلى المولى والأمير والأفعال الأمر هنا يفيد معنى الدعاء:

أجِرأعِدآمِن أحسِن أبدأ عُدأكفِ حُط تَتَفّابسط استألِف صُن احم اصطنع أعل

(ابن زيدون، ٢٠٠٤م: ٢٤٣)

وفى القصيدة الأخرى التى كتبها الشـاعر من السـجن وأرسلها إلى أبى حزم أيضاً يقـوم بعتـاب الأمير بعد مقدمة غزلية وبيان حالاته النَّفسـية ويظهر إعجابه من طريقة عمـل الأمير وفعله ويقول ماذا حدث لمعينى وسـندى بحيث يُحمّلنى أعباء الذنوب التى

١. كما نجد ذلک عند أبى فراس عندما يعاتب سـيف الدولة لتأخيره بافتدائه فى قصيدة مستقلة اسمها «أبى الدمع إلا تسرعا.» (الحمدانى، لاتا: ١٨٣– ١٨٥)

اقترفها وارتكبها غيرى بقوله:

ما للذنوبِ التى جَانى كَبَائرِها غَيرِى، يُحَمّلُنى أوزارَها وَزَرى

(نفس المصدر: ١٠٨)

ومما يلفت النظر فى هذه القصيده أن الشاعر مزج مدح الأمير بعتابه بحيث أعطى القصيدة لوعة وحلاوة، حتى يشتبه الأمر على المتلقى وهو لايدرى هل أراد الشاعر عتاب الأمير أو مدحه وبعبارة أدق هل الشاعر نظم هذه القصيدة فى السجن أم فى بلاط الأمير؟ كما يبدو من الأبيات التّالية التى يتحدث فيها الشاعر عن ثقة نفسه من رفق الأمير وعدم حذره من تجنبه حيناً وحيناً آخر يمدح الأمير بأخلاقه السهلة عندما هيج غضبه، وانقياده السهلة وحلو معشره كما يصف جمال ظاهره أمام عين الناظر الخبير والشرف التليد وعزة نفسه مع أهله ورهطه:

مَن لم أزل، من تأنّيهِ، على ثقةٍ؛ ولَم أبِت، من تَجَنّيه، على حذرِ

ذوالشيمةالرَّسل إن هيجت حفيظته، والجانب السّهل والمُستعتَبِ اليَسَر

مَن فيه للمُجتَلى والمُبتلى، نَسَقاً، جَمالُ مرأى، عليهِ سروُ مُختَبَرِ

مُذلِّلٌ للمَساعى حُكمُها شَطَطاً عَلَيه، وهوَ العزيزُ النّفسِ والنَّفَرِ

(نفس المصدر)

٢. وصف حالاته النَّفسية فى السجن من القلق والآلام

إن وصف الحالات النفسية من الصبر والتجلد ووصف الغربة والهم والحزن وتذكر الأيام الماضية الحلوة والسعيدة وغير ذلک، كانت من الموضوعات الشائعة فى حبسيات الشعراء العرب؛ كما نجد ذلک عند أبى فراس الحمدانى عندما وصف حزنه وهمّه فى السجن بقوله:

فَحُزنى لاينقضى ودمعى ما يَفترُ

ومَا هذهِ أدمُعى ولا ذا الذى أضمِرُ

ولكن أدراى الدموعَ وأستُرُ ما أستَرُّ

مَخافَةَ قولَ الوُشا ةِ:مثلُک لا يَصبِرُ

(الحمدانى، لاتا: ١٥٣-١٥٤)

أو كما وصف ضعف جسده فى أبيات أخرى ويشبه جسمه الضعيف والعليل بالرمح المحطَّم والسيف الهندى والمفلل بقوله:

قد حُطِّم الخطيُّ واختَرمَ العدى وفُلِّل حدُ المشرَفى المهنَّدِ

(المصدر نفسه: ٨٣)

أو عندما وصف أبوالعتاهية صبره وتجلده:

صبرتُ ولا والله ما لى جلادة على العبر،لكن صبرتُ على رغمى

(ابوالعتاهية، ١٩٦٤: ٣٤٠)

أو إظهار البراءة عند المتنبى عندما يبّرء نفسه ويرى أن عداوة الأعداء هو سبب نزوله فى السجن:

فلاتَسمَعَنَّ من الكاشِحينَ ولا تَعبَأَنَّ بمحک اليَهُودِ

(المتنبى، ١٩٩٨م: ج٦٨/٢)

يُعَدُّ وصف الحالات النفسية أيضاً من أغراض الحبسيات عند ابن زيدون، كما إهتم بها الشعراء قبله ولم نجد أى شيء جديد عنده فى هذا المجال. إذا يهتم الشاعر بالتعبير عن ألمه وقلقه وعذابه فى السجن فى القصيدة التى كتبها إلى أبى الحزم بن جهور فى السجن بعد مقدمة غرلية، وفى هذه القصيدة كما يقول جودت الركابى: «يشيد الشاعر بشعره ويحاول أن يتأسى بصروف الأيام.» (الركابى، ٢٠٠٨م: ٢٢٩)

مَن يسألِ الناسَ عن حالى فشاهدُها مَحضُ العِيانِ الذى يُغنى عَن الخَبَر
لَم تَطوِ بُردَ شَبابى كَبرةٌ وأرَى بَرقَ المشيبِ اعتلى فى عارضِ الشَّعَر
قبلَ الثلاثينَ، إذ عَهدُ الصِّبا كَثَبٌ، وللشَّبيبةِ غُصنٌ غَيرُ مُهتَصَر
ها أنا لَوعةٌ، فى الصّدر، قادِحَةٌ نارَ الأسَى، ومَشيبى طائرُ الشَّرَرِ

(ابن زيدون، ٢٠٠٤م: ١٠٧)

كما يبدو من الأبيات التى يصف الشاعر فيها حالاته النفسية فى السجن ويرينا بأنه يعيش فى حالة سيئة وحياة سوء بحيث رؤية حاله فى السجن يغنى الناس عن السؤال عن أحواله وهم بعد ذل ذلک لايحتاجون إلى السؤال. ملأ الحزن قلب الشاعر السجين عندما رأى البياض ظاهراً فوق شعر خده وقبل وصوله إلى سن الشيخوخة وبرز

الشيب عنده قبل بلوغه ثلاثين من عمره.

يبدأ الشـاعر قصيدته الأخرى التى أرسـلها إلى أبى حزم بن جهور فى أوائل سجنه أيضاً بذكر حالاته النفسـية من قلق وعذاب، ويستخدم أسلوب الإستفهام الإنكارى فى بيان شـدة حزنه وألمه متعرضاً إلى منصبه ووجاهتـه الماضيه ويرى حان الوقت ليبكى الغمام على شخص مثله ويطالب نصل البرق بثأره، كما ينبغى أن يقيم الليل مأتماً ليندب فى الآفاق منصبه ووجاهته:

أَلَم يَأنِ أن يَبكى الغمامُ على مثلى ... ويَطلُب ثأرى البرقُ مُنصلتَ النَصل

وهـلا أقامـت أنجُمُ الليـل مأتماً ... لتَندُب فى الآفاق ما ضَاع من نَثلى

(المصدر نفسه: ٢٣٩)

٣. الشكوى من الدهر

ومن الأغراض الموجودة عند الشـعراء القدامى فى حبسـياتهم هى الشـكوى من الدهر من وجهة نظرهم، أما بالنسـبة إلى شـاعرنا ابن زيدون فيكاد الشاعر يشكو من الدهر فى جميع القصائد التى كتبها فى السـجن منها القصيدة التى يشـكو ويعاتب فيه أبا الحـزم بن جهور ويقول فيه إن تكن الليالى قد طال رَميُها إياى بالمصائب فلقد أصابت نبالهـا موضع النبل منى وتحلَّـت الليالى بآدابى، بينما مآربى مهيَّـأة لبلوغ أمنية جديدة ويخصّنى الدهر بالهجر والجفاء دون غيرى، وكأن الزمان يبيت ثأراً من ذوى الفهم:

لَعمرُ اللّيالى! إن يَكُن طالَ نَزعُها ... لقد قَرطَسَت بالنَّبلِ فى موضع النُّبلِ

تَحَلَّـت بـآدابى، وإنَّ مـآربى ... لسـانحةٌ فى عَـرضِ أمنيـةٍ عُطلِ

أخَـصُّ لِفَهمـى بالقِلـى، و كأنّما ... يَبيتُ، لذى الفَهمِ، الزمانُ على ذَحلِ

(نفس المصدر: ٢٣٩)

يشـكو الشـاعر من الدهر أيضاً بمصائبه العظيمة فى القصيدة التى أرسـلها إلى ابن جهور من السجن بعد مقدمة طويلة فى وصف الطبيعة ويقول:

أيهـا المـؤذنى بظُلـم الليالى، ... ليسَ يومى بواحـدٍ من ظَلُومِ

قَمَرُالأفقِ، إن تأملتَ، والشمسُ ... همـا يُكسـفان دونَ النجـوم

وهُوَ الدّهــرُ ليسَ ينفک يَنحو بالمُصــابِ العظيمِ نحــوَ العظيم

(نفس المصدر: ٢٨٠)

يمزج الشــاعر هنا شــكواه من الدهر بتبيين مكانته العاليه بين الناس ويعتبر نفســه كالشــمس والقمر بين الناس الذين يعتبرهم ســاير النجوم ويقول يا من يســمح بظلم الليالى، لم يكن لى يوم واحد يتصف بالظلم، إن تأمّلتَ تجد أن القمر والشمسَ يُكسفان، ولاتُكسف سائر النجوم. والدهر لاينفک يميل بالمصيبة العظيمة نحو العظيم من الناس.

٤. السجن وذكر الولّادة

كان ابن زيدون من شــعراء الطبقة الأولى بين الأندلســيين وكانت شهرته فى الغزل أكثر من الأغراض الأخرى وكما ذكرت قبل ذلک كان مقلداً للمشارقه وأعجب بهم فى أغلب أغراضه الشعريه ولكن هذا «لايعنى التقليد التام ولايعنى أنه ضيّع شخصيته، فله الكثير من المعانى الجديدة التى تجعله فى طليعة الأندلســيين ومن كبار شــعراء العربية.» (ابن زيدون، ٢٠٠٤م: ١٧) لقد مزج الشــاعر بعض قصائده التى نظمها فى السجن بذكر الطبيعــة ومشــاهدها الجميلة ربما يعد هذا من جملة هذه المعانــى الجديدة أو من إبداع الشــاعر، إضافــة إلى ذلک مزج إحدى تلک القصائد بذكر الــولاده والتغزل بها وهذا الأســلوب كان موجــوداً عند أبى فراس الحمــدانى؛ إذ نجد صلة وثيقة بين حبســياته والغزل ولكن بنوع خاص[١]؛ «لأن أبى فراس الحمدانى بدأ كثيراً من حبســياته الشهيرة بالروميــات بنوع من الغــزل الرمزى ويدور غزله هذا حول ســيف الدولة الحمدانى.» (زينى وند، صالحى،١٣٩١ش: ٤٥)، بينما يدور الغزل عند ابن زيدون حول حبيته ولادة من هذا المنطلق يتحدث الشــاعر فى هذه القصيدة عن أرقه وســهاده وهجر حبيبته فى الأبيات العديدة منها:

ما جَالَ بعدک لحظى فى سنا القَمَر، إلا ذكرتُــک ذِكــرَ العــينِ بالأثرِ

ولا استطلتُ ذَماء الليلِ من أسفٍ إلا على ليلةٍ ســرّت مــعَ القِصَر

ناهيــک مــن سَــهَرٍ بَــرحٍ، تألّفَهُ شوقٌ إلى ما انتَقَضى من ذلک السَّمرِ

١. للمزيد من الاطلاع راجع: الحمدانى، لاتا. ديوان. ٢٠٥، قصيدة عنوانها: «ياويح خالک».

فَلَيتَ ذاک السّـوادَ الجونَ مُتَّصلٌ لَو استَعارَ سَـوادَ القَلبِ و البَصَرِ

(نفس المصدر: ١٠٦)

يتذكر الشاعر فى هذه الأبيات، الأيام الخالية والليالى الماضية التى قضت مع حبيبته ويتحـدث عن شـوقه إلى تلک الأيام والليالى كما يتذكر سـهره ولقـاءه الليلى الذى يلتقى فيه بحبيبته ويتشـوق الآن وهو فى السـجن إلى ذلک اللقاء الليلى ولذلک عندما يتأمل الشاعر العاشق ضوء القمر بعدها يتذكرها كما تتذكر العين الأشياء بعد أن تمسى أطلالهـا، ولايجد القليل الباقى من الليل طويلاً إلا لتشـوقه إلى ليلة تفرحه مع قصرها وأخيراً يتمنى أنّ ذاک السواد الخالص استعار سواد القلب والبصر حتى يبقى مستمراً.

لم يكتف الشاعر بهذا؛ بل يصف فى الأبيات الأخرى جمال الحبيب ويعترف بأنه فهم معنى الحب مما أوحته له نظراتها حتى يفهم الجوار من الحَوَر، ويرى أن جمالها متنوع لم تصل أعيننا إلى غاياته منه، رغم تنويع النظر:

فهمتُ معنى الهَوَى من وَحى طرفک لى؛ إن الجِـوار لَمَفهُـومٌ مـن الحَـوَرِ

حُسـنٌ أفانـينُ،لم تَسـتَوفِ أعيُنُنـا غَاياتِـه بأفانـينٍ مِـنَ النَّظـرِ

(نفس المصدر: ١٠٦-١٠٧)

٥. استعطافه وطلبه الخلاص من السجن

عندما نتصفح أشـعار الحبسيات فى دواوين الشـعراء الذين نزلوا السجن نجد أنهم يعدون أنفسـهم أبرياء من الذنب ويسـعون للخلاص من السـجن وكثيرما يستطعفون سُـجانهم حتى يرضى عنهم ويخلّصهم من السـجن أو يأتوا بفدية لإطلاق سراحهم،كما نجـد ذل ذلک عند أبى فـراس الحمدانى[١] أو الاعتذار عند المتنـبى[٢]. أو إظهار البراءة

١. إلـى كـم ذا العقابُ وليـس جُرمٌ وكـم ذا الإعتـذارُ وليـس ذنـبُ

فلاتحمِـل علـى قلـبٍ جريـحٍ بـه لحـوادثِ الأيـام نَـدبُ

(الحمدانى، لاتا: ٣١).

٢. دَعَوتُـک عنـدَ انقطـاعِ الرَّجـا ءِ والمـوتُ مـنى كَحبَـلِ الوَريـدِ

دَعوتُـکَ لَمَّـا بَـرانى البـلاءُ وأوهَـنَ رِجلَـىَّ ثقـلُ الحديـدِ

(المتنبى، ١٩٩٨م: ج٦٧/٢)

عنده[١] عندما يبرّء نفسه ويرى أن عداوة الأعداء هو سبب نزوله فى السجن، من هذا المنطلق كان الإستعطاف وطلب الخلاص من السجن، الغرض الرئيس فى جميع الأشعار التى نظمها ابن زيدون فى السجن؛ لذلک يخاطب الشاعر فى هذه الأشعار ساجنه أبا حزم بن جهور بينما يحاول المحافظة على عزة نفسه وكبريائه فى بداية سجنه وهذا يعود إلى مكانته العالية عند هذا الأمير فى الماضى ومنصبه الرفيع الأول عنده باعتباره وزيراً لبلاطه، وإظهار عجزه ويأسه من عفو الإمير وصفحه وأخيراً عتابه عندما لم يستجب ساجنه أبوالحزم إستعطافه.

إن الأبيات التى يطلب الشاعر فيها الخلاص من السجن ويستعطف الأمير، تأتى عادة بعد الأبيات التى يمدح فيها أمير أبى جهور أو صديقه كما ورد فى الأبيات التالية:

هَل من سبيلٍ، فماءُ العَتبِ لى أسنٌ، إلى العذوبةِ من عُتباک والخَصَرِ
نذرتُ شكرک، لاأنسى الوفاء به، إن أسفرت لىَ عنها أوجُهُ البُشَرِ
لاتَلهُ عنى، فلم أسألک، مُعتسِفاً، ردَّ الصِّبا، بعدَ إيفاءٍ على الكِبَرِ
واستَوفرِ الحَظّ من نُصحٍ وصاغيةٍ كِلاهُما العلقُ لم يُوهب ولَم يُعَرِ

(نفس المصدر: ١١٠)

نظم الشاعر هذه الأبيات بعد أبيات طويلة والتى مدح فيها ابن جهور، بعد ذلک يشير إلى لوم الواشين ويستعطف الأمير ويلفت نظره الى نفسه، ويستمد من الصور البيانية فى تصوير ما يريد ليسهل له الوصول إليه،لم يجد أقرب إلى نفسه إلا الطبيعة الخلابة حوله هذا الوجه أيضاً إختص به ابن زيدن دون غيره، لذلک يتغير ماء اللوم ويتعكر عند الشاعر، ولايجد سبيلاً إلى العذوبة والبرودة إلا رضا الأمير، كما يشير إلى وفائه إلى هذا الأمير والشكر له، بقوله: إن أسفرت لى عن رضاک أوجه بشائرها فإنى لا أنسى الشكر الذى نذرته وسأبقى وفياً لک. إن الذى يسأل الشاعر عن الأمير خلاصه من السجن وهذا أمر يستطيع الأمير فعله، وليس سؤاله عن شىء مستحيل كردّه إليه شبابه بعد كبره لذلک يقول: لاتله عنىّ فلم أسألک مستحيلاً، لم أسألک أن ترد لى شبابى بعد مشيبى كما يطلب عن الأمير أن يستكثر حظه من نصائحه وتوجيهاته إليه

١. فلاتَسمَعَنَّ من الكاشِحينَ ولا تَعبَأَنَّ بحک اليَهُودِ
(المصدر نفسه: ج٢/٦٨)

لأنها نفيسة وثمينة لاتعار ولاتوهب.

وفى الأبيات الأخيرة من هذه القصيدة يسعى الشاعر أن يُبرء نفسه وصرّح أنه إن إرتكب الذنب وجعل الثمين بخساً والحسنة سيئة بسبب جهله للأمور، ولا عذر له فى ذلک سوى أنه من البشر، ثم أدلى بأن السيادة تبدو لابسةً ثياب البهاء بالإغضاء وكف النظر عن السيئات، وسحر الجمال هو فى الإغضاء. وفى النهاية يسأل عن الأمير الشفاعة ويعتقد أنه لاتُمال أعنتة الشفاعة فى غير إتجاه قبول العذر، كما يسأل عنه أن يلبس من النعمة الخضراء أغصانها حتى تبقى ظلاً محرّماً على المصائب والأحداث ويدعو له أن يعيش فى جنة الدنيا نعيماً وإن هى زالت وينعم بالخلود فى جنان الآخرة وأنهارها الجارية:

هَبنى جَهّلتُ فكانَ العِلقُ سيئةً؛ لاعُذرَ منها سوى أنى مِنَ البشرِ
إن السّيادة، بالإغضاء، لابسةٌ بَهاءها، وَبَهَاءُ الحُسنِ فى الخَفَرِ
لک الشفاعةُ، لاتُثنى أعنّتُها دونَ القَبولِ، بمقبولٍ من العُذُرِ
والبَس منَ النّعمةِ الخضراءأيكتَها، ظلاً حَراماً عَلَى الآفاتِ والغِيَرِ
نَعيمَ جَنّةِ دُنيا، إن هىَ انصرمت نَعمتَ بالخُلدِ فى الجَنّاتِ و النَّهرِ

(نفس المصدر: ١١٠-١١)

٦. السجن و الفخر

إن التفاخر بالماضى المجيد والمكانة العالية السابقة أو الفخر بالقوم والحسب والنسب كان من الموضوعات التى تطرّق إليها الشعراء فى حبسياتهم منذ القديم؛ كما نجد عند المتنبى عندما يفتخر بماضيه وشرفه وفضله السابق[١] وأبى فراس الحمدانى حينما يفتخر بشجاعته أو وجاهته الماضيه عند سيف الدولة وعزة نفسه[٢]. فقد أكثر ابن زيدون

١. وَكُنتُ مِنَ الناسِ فى محفلٍ فَهَا أنا فى محفلٍ من قُرُودِ
(المتنبى، ١٩٩٨م: ج٦٧/٢)

٢. مَتى تُخلفُ الأيامُ مثلى لكُم فتىً طويلَ نِجاد السيفِ رَحبَ المقَلَّدِ
(الحمدانى، لاتا: ٨٤)

ونحن أناسٌ لاتَوَسُّطَ عندنا لنا الصدرُ دونَ العالمين أو القبرُ
تهونُ علينا فى المعالى نفوسُنا ومَن خَطَبَ الحَسناءَ لم يُغلِها المهرُ
(الحمدانى، لاتا: ١٦١)

من الفخر بنفسه والإعتداد بها فی حبسیاته کأسلافه من الشعراء وقد یظهر هذا الغرض بالتفاخر بقومه وأمجادهم وربما یفتخر بمکانته الماضیه عند ابن جهور ومحاسنه، ولانجد شیئاً جدیداً عنده فی هذا المضمار ولا إبداع إلا استحضار عناصر الطبیعة فی تبیین غرضه کما تدلنا الأبیات الآتیة.

ربما یذکر ابن زیدون محاسنه ومفاخره وحسن آدابه فی مواجهة أعدائه ومبغضیه الذین أدّوا سعایتهم وعداوتهم إلی وقوعه فی السجن:

تَحَلّت بآدابی، وإنَّ مَآربی ... لسانحةٌ فی عرضِ أمنیةٍ عُطلِ
أخصُّ لفهمی بالقِلی، وکأنّما ... یَبیتُ،لذی الفهم،الزمانُ علی ذَحلِ
وأجفی، علی نظمی لکلّ قِلادةً، ... مُفَصَّلَةِ السِّمطَینِ، بالمَنطقِ الفَصل
وَلو أنّنی أسطیعُ،کی أرضیَ العِدی، ... شَرَیتُ ببَعضِ الحِلم حَظّاً من الجهلِ

(نفس المصدر: ٢٣٩-٢٤٠)

کما یبدو من الأبیات مزج الشاعر ذکر مفاخره بالشکوی من الدهر الذی أقبل إلی الجهال وأعرض عن العقلاء وذوی الفهم وصرح بأن اللیالی تحلّت بآدابه، ومآربه وهی مهیأة لبلوغ أمنیة جدیدة، ورغم أنه یُخَصِّص غیره بالجفاء والهجر ولکن الزمان کأنه أراد بالثأر من ذوی الفهم، ولو کان بإستطاعته لیرضی أعداءه عندئذٍ یقوم ببیع ما عنده من الحلم حتی یشتری قلیلاً من الجهل.

یفتخر الشاعر أیضاً بمکانته العالیة وارتفاع شأنه فی قصیدة أخری والتی بعث بها إلی أبی حزم بن جهور من السجن بعد أن یلوم الشامت المرتاح البال والذی یبدی بسروره وفرحه عندما یری منزلة الشاعر الضائعة وأمانیه المتعبة، ویستفید من عناصر الطبیعة لتبیین مکانته العالیة لذلک یصورها کالشمش والقمر اللذین یکسفان کما یکسف شأنه إذاً لایتعجب عن طول وجوده فی السجن لإن ذلک لا یحط من شانه کما لایفقد السیف القاطع شیئاً من حسناته إن یُودَع غمده:

لایُهنیء الشامتَ، المُرتاحَ خاطرُهُ، ... أنِّی مُعَنّی الأمانی، ضائعُ الخَطَرِ
هل الریاحُ بنَجم الأرضِ عاصفةٌ؟ ... أم الکُسوفُ لغیرِ الشمسِ و القَمَرِ

إن طالَ في السجنِ إيداعي فلاعجبٌ! قد يُودَعُ الجفنَ حَدُّ الصارمِ الذكرِ

(نفس المصدر: ١٠٧-١٠٨)

يشير الشاعر في هذه القصيدة مرة أخرى إلى محاسنه ومكانته الأدبية العالية ورجاءه في الوصول إلى الأمير والتمتع منه ولكن الدهر خيب آماله، لأنه ظن أن النجم يقرنه بالوصول اليه ولكن يتعجب الشاعر وتأخذه الدهشة عندما يرى نفسه أصبح منحطاً إلى التراب، بينما له أدب يعده وسيلة وسبباً إن لم يكن نسباً وهو الوداد الصافي الذى لا كدر فيه، ثم يشير إلى تفوق أدبه ويشبه جماله بالثوب الموشّى ويقول ربَّ أدب بارز المدح والثناء وحسنه وتفوقه مَثَل يُحتذى وجمالُ وشى بارز في الأطراف المطرزة:

قد كُنتُ أحسبني والنجمُ في قَرَنٍ؛ فَفيمَ أصبحتُ مُنحَطاً إلى العَفَرِ؟

أحينَ رفَّ على الآفاقِ من أدَبي، غرسٌ، له من جَناه يانعُ الثَّمَرِ؟

وسيلةً سبباً، إلا تكُن نَسَباً، فهوَ الوِدادُ صَفا من غير ما كَدَرِ

وبائنٍ مِن ثناءٍ، حسنُه مَثَلٌ وشيُ المحاسنِ منه مُعلَمَ الطُّرَزِ

(نفس المصدر: ١٠٩)

وفي قصيدة أخرى أيضاً يشير إلى مجد قومه ويفتخر بهم عندما يعاتب صديقه ويذكر أيامه الماضيه مع صديقه بقوله:

نتعاطى الشُّمُولَ، مُذهبَةَ السِّر بالِ، و الجَوُّ في مطارفَ غُبرِ

في فُتُوٍّ، تَوَشَّحوا بالمَعالي، وتَرَدّوا بكُلّ مَجدٍ وفخر

وُضَّحٍ، تَنجلي الغياهبُ منهُم عن وُجُوهٍ، مثلِ المصابيحِ، غُرّ

(نفس المصدر: ١١٦-١١٧)

عندما يتذكر الشاعر الأيام التي قضاها مع صديقه يصف مجالس خمره مع ندمائه ويمزجها بعناصر الطبيعه ومشاهدها مرة أخرى وخلال ذلك يشير إلى مجد قومه ومفاخرهم ومعاليهم. يستمد الشاعر من ألوان الطبيعة في تبيين مجالس الخمر ويصف الخمرة ملونةً بلون الذهب في صفائها ونقائها بينما الجو رمادى مغبر كأنه لابسُ ثوبٍ بهذا اللون، كما يستخدم الصور البيانية بأجمل شكل ويصّور ندماءه فتياناً جعلوا المعالى وشياً وارتدوا ثياب المجد والفخر بينما هم واضحون وأصحاب وجوه مشرقة كالمصابيح

ومعها تنجلى الغياهب.

يفتخر فى هذه القصيدة أيضاً بنظمه ونثره فى صفحات الأوراق التى تبهر الفكر وهى بدائع مشـــرقة لايشک الدهر فى أنها قلائد من الدرر، تتوالى على النفوس متواصلة من فتىً طبعه غنى بها، أفرط الشاعر فى علو مكانته فى النثر وبلاغة الكتابة وفصاحته حتى يرى أنه فاق ســهل ابن هارون والجاحظ وهما من الشــخصيات التراثية، أراد الشاعر باســتدعاء هذه الشــخصيات التراثية إثبــات تفوقه فى البلاغــة و الفصاحة للقارئ و المتلقى بأسلوب بديع وجميل:

واكسُ متنَ القِرطاسِ ديباجَ لفظٍ ... يَبهَــرُ الفكــرَ من نظيــم ونثرِ
غُررٌ، من بدائعٍ، لا يَشكّ الدّه ... رُ فى أنّهــا قلائــدُ دُرّ
تَتَوالى علــى النفوسِ، دراكاً، ... عن فتىً مُوسِرٍ، من الطّبع، مُثرِ
شــدّ فى حَلبة البلاغــةِ، حتّى ... بانَ فيهَا عَن شأوِ سهلٍ وعمروِ

(نفس المصدر: ١١٧-١١٨)

٧. السجن وذكر الأصدقاء و الأقرباء

يُعد فراق الأهل والأصدقاء وبعدهم، من مصائب الشــعراء فى السجن وحزنهم فقد انعكس هذا الحزن والمحنة فى أشعارهم بشكل ما؛ إذن يشكل تذكر الأصدقاء والأقرباء وذكر معاناة الشــاعر فى فراقهم من الموضوعات التى اهتم بها الشــعراء فى حبسياتهم. كما نجد مثلاً عند المتنبى عندما يشبه الفراق بالنار التى أضرمت نيرانها كبد الشاعر[١].

وقد أشار ابن زيدون فى حبسياته أيضاً إلى الأيام التى قضاها مع أصدقائه ويتذكر تلك الأيام الحلوة ويتحسر عليها، كما يشكو من فراقهم وبعده عنهم، ويمزجها بمدحهم؛ كمــا يمزجها بوصف الطبيعة ويعطيها حلاوة وجمالــاً كعادته فى الأغراض الأخرى، ربما هذا هو الشيء الجديد عند شاعرنا والذى لم نجد مثله عند أقرانه فى حبسياتهم.

لقد كتب الشــاعر قصيدة شــهيرة فياضة بالحزن والألم وبعث بها إلى صديقه الوزير الكاتب أبى حفص بن برد ومطلعها:

١. فَواحَســرَتا مــا أمَــرَّ الفِــراقَ ... وأغلَــقَ نِيرانَــهُ بالكُبُــودِ
(المتنبى، ١٩٩٨م: ج٢/٦٤)

مـا عَلَـى ظَـنّ بَاسُ يَجـرَحُ الدّهـرُ وَيَاسُـو
رُبّمَـا أشـرفَ بالمَـر ء، عَلَى الآمـالِ، ياسُ

(نفس المصدر: ١٣٨)

كما يبدو من المطلع يبدأ الشـاعر قصيدته بالشكوى من الدهر الذى يجرح ويداوى نفسـه الجرح ويشير إلى يأسـه رغم ما عنده من آمال. بعد عدّة أبيات يخاطب صديقه الوزيـر ويمدحه بفهمه وذكائه تعريضـاً بإياس بن معاويه المزنى و«هو من قضاة العراق فى عصـر بنى أميه وكان يضرب به المثل فى الذكاء والفهم.» (الركابى، ٢٠٠٨م، هامش: ٢٢٤) وربما يرجع ذلك إلى سـبب نزوله فى السـجن كما يرى بعض الباحثين بأنه نزل فى السـجن بسـب حكم قاض اسمه ابن مكوى (نفس المصدر: ١٧٦) لعل أراد الشاعر التعريض برأى القاضى ابن مكوى الذى أدى إلى وقوعه فى السجن عندما صرح باسم القاضى أياس بن معاوية، بقوله:

يا أبا حَفصٍ، وَمَا ساوَاك، فى فَهـم، إيـاسُ
مِن سَـنا رأيـک لى، فى غَسَـقِ الخَطبِ، إقتباس

(نفس المصدر: ١٣٩)

صحيح بأن الشاعر أراد هنا التعريض بقاض فى العراق عُرف بالذكاء والفهم؛ ولكنه يصـف صديقـه أكثر فهماً وذكاءاً من هذا القاضى عندما يقـول له: ليس إياس نظيرک ومثلـک فى الفهم بحيث يقتبس الشـاعر مـن رأى هذا الصديق النـيّر ما يضىء ظلمة الأحداث وهذا يدل على ثقة الشـاعر بصديقه الوزير ورجائه به حتى ينقذه من ظلمة السجن.

وفى نهايـة القصيدة ينصح صديقه ويسـأل منه أن يغتنم صفـاء الليالى والتمتع بها؛ لأن صروف الدهر تتربص بالإنسـان حتى لايبقى مجال لاغتنام لذة الحياة إلا فى خوف وحذر وتنتهى القصيدة كغيرها من الحبسـيات بالرجاء فى عفوه لأن الانتظار واحتمال الآلام والشقاء لقد طال على الشاعر:

وَاغتَنِـم صَفـوَ اللّيـالى؛ إنّمـا العَيـشُ اختِـلاسُ

وعَسى أن يَسمَحَ الدّهرُ فَقَد طَالَ الشِّماسُ

(نفس المصدر:١٤٠)

كتب الشاعر قصيدة أخرى وبعث به إلى صديقه أبى القاسم بن رفق ويعاتبه ويذكر فيه أيامه الماضيه هكذا يبدأ الشاعر القصيدة مخاطباً صديقه:

عِذَرِى، إن عَذَلتَ فى خَلعِ عُذرى غُصُنٌ أثمرت ذُراهُ بِبَدرِ

هَزّ مِنهُ الصِّبا، فَقَوَّمَ شَطراً، وتَجافَى، عَنِ الوِشاحِ، بشَطرِ

(نفس المصدر: ١١٤)

يبدو من الأبيات أن الشاعر يعتذر من صديقه بسبب تركه الحياء ويرجو منه المعذرة إن لامه صديقه فى ترك الحياء بسبب غصن أثمرت أعاليه بدراً، ثم يصف خلالها بعض مشاهد الطبيعة ويشبه قامته بالغصن ويصف تمايل قامته وتخايلها فى المشى بقوله: إن هذا الغصن هزَّ الشباب فتقوّم قسم منه وابتعد قسم آخر عن الوشاح.

بعد الابيات العديدة فى وصف مشاهد الطبيعة يتذكر أيامه الماضيه مع صديقه الوفى الفاضل وأوحد زمانه ويتأسف على الأيام والليالى التى قضاها مع صديقه ويتأوه على ليلة برز وظهر فى ظلمتها ضوء الفجر من ضياء وجهه، ثم يرى أن الوصال واللقاء قصَّر عمر تلك الليالى ويحب أن تطيل الليالى القصيرة عمره وأخيراً يبحث عن معين ينصره من مخاوف دهر خائن يخاف الشاعر من غدره كل يوم:

يَا لَهَا ليلةً! تَجَلّى دُجاهَا مِن سَنَا وَجنَتَيهِ، عن ضوء فجر

قصّرَ الوصلُ عُمرَها؛ وَبُودّى أن يطُولَ القصيرُ مِنها بِعُمرى

مَن عَذيرى من رَيبِ دَهرٍ خَؤونٍ كُلَّ يَومٍ، أراعُ منهُ بغَدرِ

(نفس المصدر: ١١٥)

يشكو الشاعر من فراق صديقه وابتعاده عنه مستعيناً من مشاهد الطبيعة، هذا الصديق الذى كان للشاعر كجنة لعينه فى الماضى أما الآن فغدا روضة فى فكره وهو ذومعشر حلو بحيث يسُّر الشاعر ويفرحه بوجهه وترتوى عيناه من ينبوع بشائره إذاً يريح الشاعر برؤية صديقه هذا سواءً كان يراه بعينه قبل ذلك أم يصوره فى فكره الآن وهو فى السجن:

بَـانَ عَـنّي، وكانَ رَوضةَ عَينِي فَغَدا اليومَ، وَهوَ رَوضةُ فكرى
فَكِـهٌ، يُبهِـجُ الخليـلَ بوجـهٍ تَـرِدُ العينُ منـهُ ينبوعَ بِشـرِ

(نفس المصدر: – ١١٦)

كما تدلنا الأبيات التى ذكر الشـاعر فيها الأوصاف الظاهرية لصديقه وعقله وفهمه وذكائه وأيضاً أخلاقه الحسنة ومزجها بمشاهد الطبيعة وهذا يعد ميزة خاصة لهذا الغرض فى حبسـيات الشاعر كما يذكر إخلاصه وشـكره له ثم يرسم لنا العالم الذى يعيش فيه الشـاعر فى فراق هذا الصديق عالماً مظلماً ودامساً مع أحداث مُرة مظلمة ثم يتمنى أن يُعيد الدهر الزمان الماضى السعيد الذى ١١٥قضاه الشاعر مع صديقه:

طَرَقَ الدّهرُ ساحَتى، مِن تَنائى ك، بجَهمٍ من الحـوادثِ، نُكرِ
ليتَ شعرى! والنّفسُ تعلمُ أن لى سَ بمُجدٍ على الفَتى: ليت شعرى
هل لخالى زماننـا من رُجُوعٍ، أم لماضـى زَماننـا مِـن مَكَر

(نفس المصدر: ١١٦)

ومما يلفت النظر هنا إسـتخدام مشـاهد الطبيعة بكثرة فى وصف أيامه الماضيه التى قضاهـا مع صديقه وهذا مما زاد فى جمال هذه القصيدة الحبسـية منها هذه التشـبيهات والإسـتعارات الجميله فى البيت الثالث فى وصف زمن الذى عاش الصديقان سـعيدين جنباً إلى جنب:

حينَ نَغدو إلـى جَداولَ زُرقٍ، يَتَغلغَلـنَ فى حدائـقَ خُضـرِ
فى هِضَابٍ، مَجلُوةِ الحُسنِ، حُمرٍ وَبِـوادٍ، مَصقُولَـةِ النّبتِ، عُفرِ
نَتَعَاطى الشّـمُولَ، مُذهَبَةَ السّر بـال، والجَـوُّ فى مطـرف غُبرِ

(نفس المصدر)

دبّج الشاعر هذه الأبيات بألوان متنوعة ومستعارة من ألوان الطبيعة حوله، جداول زرق، حدائـق خضر، هضاب محمـرة اللون، وديان معفرة بالتراب بـارزة النبت، بينما يتعاطى الصديقان الخمرة مذهبة اللون والجو لابس ثوباً رمادياً مغبراً.

وفى نهايـة القصيدة يأمـل أن يجيبه صديقه وإذا لم يعجل صديقـه فى الجواب، كان كتابه هذا آخر ما يرسـله إليه من السـجن، ويدعو لصديقه أن يعيش فى السلامة طالما

يلوح فى الأفق برق يلمع ويرسل سلامه إليه مادامت الحمائم تغنى فوق أغصان السدر المائلة. إذا أمعنا النظر فى هذه الأبيات التى تدلنا على رجاء الشاعر من صديقه من جهة ووعيده من جهة أخرى لأنه يهدده بانقطاع الرسائل إليه إذا لم يجبه صديقه رغم ذلک أنه شاعر متحلى بخلق يلفت النظر وهو دعاؤه لصديقه ولم يتفوه بالدعاء عليه:

وَإذا أنتَ لَم تُعَجِّل جوابى، كان هذا الكتابُ بَيضَةَ عُقرِ
فَابقَ فى ذِمّة السّلامة، ما انجَا بَ، عن الأفقِ، عارضٌ مُتَسَر
وعليک السلامُ ما غَنّتِ الوُر قُ، وماَلت بها ذَوائِبُ سِدرِ

(نفس المصدر، ص١١٨)

٨. استلهام التراث

لقد استلهم الشعراء فى العصور المختلفة من تراثهم لاسيما تراثهم الدينى لتخليد آثارهم طوال الدهر. كما استمد الشعراء من هذا التراث فى حبسياتهم ليتصف أدبهم بالخلود والبقاء وهذا ما نجده فى روميات أبى فراس الحمدانى إذ نرى صدى القرآن وأحداث تاريخ الإسلام فيها[١].

كان لاستلهام التراث وعلى راسه القرآن دور بارز فى آثار ابن زيدون من الشعر والنثر فيعد من الميزات الشعرية لابن زيدون. إستمد الشاعر من التراث وعلى رأسه من القرآن فى أغراضه المختلفة كما يتجلى فى قصائده الحبسية. منها فى القصيدة التى أرسلها الى ابن جهور يستعطفه بعد مدحه وذكر آلامه وعذابه فى السجن:

نارُ بَغى سَرَى إلى جنةِ الأمنِ لَظَاهَا، فأصبَحَت كالصَّرِيمِ
بأبى أنت، إن تشأ، تكُ بَرداً وسَلاماً، كنارِ إبراهيمِ

(نفس المصدر: ٢٨٢)

يرسم لنا الشاعر فى هذه الأبيات آلامه وعذابه فى السجن الذى أُسر فيه ويصور

١. كذلک الله كلَّ وقتٍ يزيد فى الخلق مايشاء
(الحمدانى، لاتا: ١٠)
وفارَقَ عَمروُ بنُ الزُّبيرِ شقيقَهُ وخَلىّ أميرَ المؤمنين عقيلُ
(المصدر نفسه: ٢٣٣)

ظلم الحســاد والواشين وســعاية الأعداء كنار الظلم الذى سرى لَهَبُها إلى جنته الآمنة فأصبحــت كالصريم، ثم يخاطب ابن جهور ويقول له: إنّ هذه النار تصبح ســكينة وبرداً لى كنار إبراهيم إذا أنت تعفو عنى وتصفح عن ذنوبى مســتمداً من قصة ابراهيم(ع) فى القرآن وهذه الآية: ﴿قُلنا كُونى برداً و سلاما على إبراهيم﴾» (الأنبياء: ٦٩)

خيانة الأصدقاء وعدم وفائهم بالعهد من الأغراض الأساســية فى القصيدة الأخرى التى نظمها الشاعر فى السجن مخاطباً صديقه الوزير أباحفص بن برد، يستمد الشاعر فى تبيين غرضه هذا من القصة المشهورة فى القرآن وهى قصة قوم موسى ومسألة السامرى وينظم مخاطباً صديقه:

ما تَرى فِى مَعشَرٍ حالوا عَــن العَهدِ، وخاسُــوا
ورأونى ســامِرِيّاً يُتّقــى منــه المســاسُ

(ابن زيدون، ٢٠٠٤م: ١٣٩)

أراد الشاعر من المعشر، أبا الحزم بن جهور وحاشيته ومن تابعه من أصدقاء الشاعر الذين انقلبوا ضده وتنكروا له.« والســامرى هو موســى السامرى صاحب الفتنة الذى جمع ذهب بنى إســرائيل وحليهم وصنع منها عجلاً جسداً له خوار ودعاهم إلى عبادته من دون الله. فى غياب موســى الكليم عليه الســلام، فلما رجــع النبى وأعاد القوم إلى رشــدهم حكم على السامرى بألا يكلمه أحد من بنى إسرائيل ولايعاملوه ولايماشوه.» (أحمد غراب، ٢٠١١م: ١٥٥) كما ورد قصته فى القرآن فى سورة طه:آيه ٨٥ – ٨٩. يشبه الشــاعر نفسه بذلك السامرى الذى عوقب فى حياته بأن لايخالط الناس ويشبه موقف آل جهور وحاشيته منه بموقف بنى اسرائيل من السامرى.

يســتلهم الشاعر أيضاً من قصة موسى (ع) وأمه فى القرآن (سوره القصص: ٧-١٣) عندما رمت بابنها فى البحر خوفاً من عدوه ليتعزى نفسه ويعتبر فى تحمل أعباء السجن وآلامــه وعدم وفــاء الأصدقاء وجور الدهر؛ لذلك يدعوا نفســه ألا تكون حزينة؛ بل تخفف بكاءً لأنها ليست أول حرة أعرضت حزينة عندئذٍ يستحضر قصة موسى فى القرآن ويرى أن فى قصة أم موسى عبرة له عندما رمت بابنها فى الماء فعليه أن يعتبر ويعزى:

أمقتولـةَ الأجفـانِ! ما لـكِ والهاً؟ أ لَم تُـرِك الأيامُ نجمـاً هوى قبلى؟
أقلّـى بُـكاءً، لَسـتِ أولَ حُـرّةٍ طَوَت بالأسى كشحاً على مَضَض الثّكل
وفى أم موسـى عـبرةٌ أن رمـت به إلى اليَّم، وفى التابوتِ، فاصبرى واسلى

(ابن زيدون، ٢٠٠٤م: ٢٤٠)

يبدأ الشـاعر قصيدتـه التى كتبها إلى صديقـه الوزير الكاتـب أبى حفص بن برد بالشكوى من الدهر ويتذكر آلامه ويأسه وبؤسه وغدر الدهر الذى يعزّ بعض الناس كما يذلّ الآخرين، فى هذه القصيدة عندما يتحدث عن اختلاف أبناء الدنيا، منهم الأشراف ومنهم الأذلاء ويستلهم من القرآن أيضاً حتى يشير إلى تعلق الناس بالدنيا ومتعها بينما ما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور:

وكَـذَا الدّهـرُ إذا مـا عـزّ نـاسٌ، ذلَّ نـاسُ
وبنـو الأيـام أخيـا فٌ: سـراةٌ و خِسـاسُ
نَلبَـسُ الدّنيـا، ولكـن مُتعَـةٌ ذاك اللبَـاسُ

(نفس المصدر: ١٣٨)

متعة ذلک اللباس إشـارة إلى الأية: ﴿وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾ (الحديد: ٢٠)

عندما يسعى الشـاعر براءة نفسه عن تهم الواشين فى خطابه إلى الأمير ابن جهور واستعطافه عنه، يستحضر واقعة تاريخية هامة من تراثه كما ورد فى هذا البيت:

فلَم أستَتر حَربَ الفِجارِ،[1] ولم أطع مُسَـيلمةً، إذ قالَ: إنى مِنَ الرُّسلِ

(نفس المصدر: ٢٤٢)

هنا يسـتحضر الشـاعر واقعة تاريخية ليتذكر بأن تهم الواشـين لا قيمة لها؛ لأنه لم يدخل حرب الفجار ولم يطع مسيلمة الكذاب الذى إدعى النبوة.

١. سميت حرب الفجار لأن العرب فجروا فيها إذ قاتلوا فى الأشهر الحرم، مسيلمة رجل من بنى جفنه إدعى النبوة وعرف بمسـيلمة الكذاب (للمزيد من الاطلاع راجع: ابن زيدون. (لاتا). ديوان. شـرح و تعليق يوسف فرحات. تعليق الشارح فى الهامش: ٢٤٢).

النتيجة

أهم النتايج التى توصلت إليها هذه المقالة:

١. ذاق ابن زيدون طعم السجن المرّ بدلائل اختلف فيها الباحثون وعلى رأسها عامل سياسى وسعاية الوشاة والأعداء وكانت نتيجة هذه التجربة المرّة ظهور خمس قصائد رائعة والتى تعد من قصائد الحبسيات وانعكست فيها الظروف المرة التى قضاها الشاعر فى السجن.

٢. تتضمن حبسيات الشاعر على هذه الأفكار والموضوعات الرئيسة: عتاب الأمير الذى كان قبل ذلک ممدوحه، لقد مزج الشاعر عتاب الأمير ولومه بمدحه وهذا شىء جديد فى حبسياته بعبارة أخرى كان ابن جهور – ممن حكم بسجن للشاعر – هو من يلومه الشاعر فى حبسياته كما يمدحه فى نفس الوقت وهذا نوع من الإبداع والجديد عنده، توصيف الحالات النفسية من القلق والآلام والحزن والتى تصور الأيام المرة التى قضاها الشاعر فى السجن، كما كان عند القدماء، الشكوى من الدهر الذى جفا على الشاعر و رمته بالمصائب العظيمة، كغيره من الشعراء فى العصور الماضية فى حبسياتهم، التغزل بذكر حبيبته ولّادة فى مقدمة القصيدة تقليداً عن شعراء الشرق، استعطاف وطلب الخلاص من السجن والتى تأتى عادةً بعد مدح الأمير أو صديق الشاعر، ذكر مفاخره ومحاسنه حتى يتذكر الأمير بمكانته العالية وهذه المفاخر تشتمل على وجهين: الفخر بأدبه من النظم والنثر ومكانته الأدبية العالية، والفخر بالقبيلة والقوم، وهذا الغرض أيضا كان مما اهتم به القدماء بالوجهين الذين وردا عند ابن زيدون، ذكر الأصدقاء والأقرباء فى السجن الذين قضى الشاعر معهم أياماً سعيدة ويمزج هذا الغرض بالنصيحة والإخوانيات، كما يمزج هذا الغرض بمدحهم ووصف الطبيعة وهذا أيضاً من إبداع الشاعر. وأخيراً استلهام الشاعر من التراث وعلى رأسه من القرآن وقصصه ومن أحداث تاريخية كغيره من الشعراء فى حبسياتهم، حتى يزيد على حبسياته تأثيراً وجمالاً.

٣. لايهتم الشاعر بوصف الجزئيات فى حبسياته مثل توصيف الليل فى السجن أو السّجان أو تمنى الموت والتبرأ والاشمئزاز من الدنيا وزخارفها والآلام الجسمية

والوحشة ومرارة القيود والسلاسل وأمثال ذلک، هذه الأوصاف التی کانت مشهودةً فی حبسیات شعراء الشرق، وهذا ما یبین الخلاف فی نظرة شاعر الأندلس فی نظم الحبسیات بالنسبة لشعراء المشرق[١].

٤. إن تعدد الأغراض موجودة فی القصیدة الواحدة وتختلف من قصیدة إلی أخری من مقدمة غزلیة، ووصف الطبیعة إلی مدح الأمیر وعتابه والشکوی من الدهر والفخر والإخوانیات والغزل وذلک أمر متوقع من شاعر کابن زیدون والذی حذا حذو شعراء الشرق ولکن رغم تعدد أغراضه فهی متناسقه و متقاربة یکمل بعضها بعضاً بحیث یجعلها تتمتع بالوحدة الفنیة.

٥. لقد مزج الشاعر أشعار الحبسیات بوصف مناظر الطبیعة ومشاهدها وهذا یدل علی تأثر الشاعر من بیئة الأندلس الجمیلة والخلابة وطبیعتها النضرة. وهذا هو من إبداع الشاعر فی حبسیاته بحیث لم نجد مثیلها فی حبسیات غیره من الشعراء.

٦. إن الموضوعات والمضامین التی یعتنی بها الشاعر فی حبسیاته یزیل الستار عن الأحداث السیاسیة والاجتماعیة فی عصره عادةً؛ لذلک إن حبسیات الشاعر تدلّ علی الأوضاع السیاسیة والاجتماعیة والثقافیة فی عصره ومجتمعه وخاصة بلاط الجهوریین کما تعبّر صورة واضحة من أحوال الشاعر فی السجن ویرسم بعض أبیاتها فن الشاعر الرئیسی یعنی التغزل والذی اشتهر به.

٧. وأخیراً ما کان الشاعر مقلداً بحتاً من شعراء الشرق فی نظم الحبسیات؛ بل حاکاهم فی بعض الأغراض وترک البعض الآخر کما بیّنا، وتعدد الأغراض فی القصیدة الواحدة تعد من معالم التقلید عند الشاعر فی حبسیاته؛ أما امتزاجها بوصف الطبیعة وعناصرها فکان من معالم التجدید والإبداع عنده.

المصادر والمراجع

الکتب

القرآن الکریم

١. لقد قرأت الباحثة الکتب و المقالات التی بحثت أشعار الحبسیات لشعراء المشرق و وصلت إلی هذه النتیجة بعد قراءة هذه الکتب و المقالات.

آباد، مرضيه. (١٣٨٠ش). حبسيه سرايى در ادب عربى از آغاز تا عصر حاضر. چاپ اول. مشهد: انتشارات دانشگاه فردوسى مشهد.
ابن بسام، على. (١٩٨١م). الذخيرة. به كوشش احسان عباس. تونس: لانا.
ابن زيدون. (٢٠٠٤م). ديوان. شرح وتعليق يوسف فرحات. بيروت: دارالكتاب العربى.
ـــــ (لاتا). ديوانه ورسائله. شرح وتحقيق على عبدالعظيم. مصر: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.
أبوالعتاهية، ابو إسحاق إسماعيل بن قاسم. (١٩٦٤م). ديوان. بيروت: دار صادر.
أحمد غراب، سعيد. (٢٠١١م). أطياف من تاريخ الأدب العربى ونصوصه فى الأندلس. مصر: دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع.
آذرشب، محمد على. (١٣٨٧ش). الأدب العربى فى الأندلس تاريخ و نصوص. تهران: انتشارات سمت.
أمين مقدسى، ابوالحسن وعبدالوحيد نويدى. (١٣٩٢ش) ترجمة، شرح و تحقيق المجلد الخامس للمجانى الحديثة. تهران: انتشارات دانشگاه تهران.
توكلى محمدى، محمود رضا و بتول ملكى. (١٣٩١ش). مقتطفات من الأدب الأندلسى الشعر والنثر. قم: انتشارات دانشگاه قم.
الحمدانى، ابوفراس. (لاتا). ديوان. بيروت: دارصادر.
الركابى، جودت. (٢٠٠٨م). فى الأدب الأندلسى. ط٦، القاهرة: دارالمعارف.
ضيف، شوقى. (لاتا). الفن و مذاهبه فى الشعر العربى. ط١٢، القاهرة: دارالمعارف.
عبدالرزاق سليمان، سالم. (٢٠١١م). ترسل الشعراء فى الأندلس. القاهرة: دارالمعرفة الجامعية.
عتيق، عبدالعزيز. (لاتا). الأدب العربى فى الأندلس. بيروت: دارالنهضة العربية.
ـــــ (لاتا). فى البلاغة العربية، علم المعانى-البيان- البديع. بيروت: دارالنهضة العربية.
فروخ، عمر. (٢٠٠٦م). تاريخ الأدب العربى. ط٥، بيروت: دار العلم للملايين.
قدور، سكينة. (٢٠٠٧م). الحبسيات فى الشعر العربى. أطروحة دكتوراه، الجمهورية الجزائرية دولة فى الأدب العربى الحديث، جامعة منتورى قسنطينة.
المتنبى، أبوالطيب. (١٩٩٨م). ديوان. شرحه ووضعه عبدالرحمن البرقوقى. بيروت: دار الكتاب العربى.
المعوش، سالم. (٢٠٠٣م). الشعر السجون فى الأدب العربى الحديث والمعاصر. بيروت: درالنهضة العربية.

المقالات والدوريات

اميرى، جهانگير وإلهام كاظمى. (١٣٩٥ش). «مكارم الأخلاق فى سجنيات أحمد سحنون

(دراسة وتحليل)». مجلة دراسات فی اللّغة العربية وآدابها. العدد الثالث والعشرون. صص١-١٨.

دادمان کوشکی، علی وعیسی داراب پور. (١٣٩٠ش). «وصف زندان و احوال دورنی در زندان سروده های فارسی و عربی». پژوهشنامه ادب غنایی. دانشگاه سیستان و بلوچستان، سال نهم. شماره شانزدهم. صص٧٣- ٩٧.

زینیوند، تورج و پیمان صالحی. (١٣٩١ش). «حبسیه سرایی در شعر عربی و فارسی (پژوهش تطبیقی: شعر ابوفراس و بهار)» فصلنامه علمی پژوهشی ادبیات فارسی دانشگاه آزاد. شماره١١. صص ٢٩- ٥٤.

طالبیان، یحی ومنصور نیکپناه. (١٣٨١ش). «مسعود سعد و أبوفراس و سابقه غزل مستقل». مجلة ادبیات تطبیقی دانشکده ادبیات و علوم انسانی دانشگاه شهید باهنر. شماره١٢. صص٩٣-١٠٩.

مرادی، محمدهادی وصحبت الله حسنوند. (١٣٨٨ش). «رومیات أبی فراس الحمدانی وحبسیات مسعود سلمان». فصلية التراث الأدبی. السنة الأولی. العدد الثانی. صص٨٧-١١٠.

مصطفوی نیا، سید رضی ومهدی جباری. (١٣٨٧ش) . «مقایسه عناصر بلاغی - استعاره -در حبسیات خاقانی و ابوفراس» نشریه ادبیات تطبیقی دانشگاه آزاد اسلامی. واحد جیرفت. شماره ١٠. صص٢١٩-٢٤٢.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی